**قسم التاريخ و الآثار**

**مقياس منهجية البحث التاريخي**

**السنة الأولى ماستر تخصص : المغرب العربي المعاصر**

1. **د : سفيان لوصيف**

**أرنولد توينبي مؤرخا**

ولد المؤرخ العلامة، أرنولد جوزيف توينبي في مدينة لندن عام 1889، تلقى تعليمه العالي بجامعة ونشستر Winchester وباليول Balliol وأكسفور Oxford، حيث تخصص في الدراسات الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية، وأظهر تفوقا في كامل مراحل تحصيله الجامعي، وآية ذلك عشرات التميزات والجوائز التي رصعت مسيرته العلمية الطويلة.

وقد كشف توينبي في استهلال لملخص كتابه (الصادر باللغة الفرنسية عام 1985) عن أسباب اهتمامه بالتاريخ منذ طفولته المبكرة: "لقد دفعني الفضول إلى دراسة التاريخ ولقد شغفت بالتاريخ وافتننت به منذ كنت يافعا، فأمي مؤرخة وهي التي بثت فيّ ولعها بالتاريخ، وكان بمثابة الحافز لديّ".

ندب توينبي عام 1912 للعمل بجامعة لندن أستاذا للتاريخ الإغريقي والبيزنطي، وفي العام الموالي تزوج من الآنسة روزاليند ميراي Rosalind Murray ابنة العالم الهيليني الكبير جيلبار ميراي Gilbert Murray أحد أشهر المختصين في اللغة والأدب اليوناني.

شغل أرنولد توينبي خلال الفترة 1914-1914 كرسي الدراسات البيزنطية والإغريقية الحديثة بجامعة لندن ونهض ابتداء من العام 1925، وحى إحالته على التقاعد عام 1955 بإدارة المعهد الملكي للشؤون الدولية Royal Institute of International Affairs، كما اشتغل في نفس الآن بتدريس التاريخ الدولي في جامعة لندن، وخلال الحربين العالميتين كان للرجل نشاط سياسي وديبلوماسي مكثف، إذ عمل بوزارة الخارجية Foreign Office وكان عام 1919، مثلا، ضمن الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح بباريس، بوصفه خبيرا بشؤون الشرق الأدنى، وبذلك تسنى للأستاذ الألمعي، والباحث المتمرس، أن يطلع عن كثب على خفايا عالمي السياسة والديبلوماسية ومن ثم، يلم بها أدق دقائقها وخلال لحظات تاريخية فارقة أثرت في العالم كما شخصه، باعتراف توينبي نفسه..

وظف أرنولد توينبي ثقافته الموسوعية المشهود بها عالميا وخبرته المستقاة من العمل السياسي والديبلوماسي، والبحث العلمي المكد في صياغة مشروعية الضخم، المتمثل في مباشرة جرد للحضارات والإلمام بمختلف مراحل تواريخها ومقارنتها بغية استجلاء قوانين صيرورتها مدفوعا في ذلك بميل جارف (لا قبل له مقاومته وفق عبارته) إلى فلسفة التاريخ، وقد أودع الرجل خلاصة آرائه، وهي آراء تميزت بالأصالة والطرافة والاستغلاق الشديد أحيانا، أثره الكبير المعنون دراسة التاريخ

يقول توينبي في معرض تسويغه لتأليف الكتاب "لقد كان هذا المؤلف بالنسبة لي إحدى الاستجابات للتحدي الذي قابلني به العبث الإجرامي للشؤون الإنسانية...".

سلخ أرنولد توينبي أكثر من أربعين من عمره في إنجاز عمله الموسوعي هذا إد بدأ بالاشتغال عليه عام 1920 وانتهى منه عام 1961.

واحتوت النشرة المختصرة لهذا التأليف اللجب على اثني عشر جزءا:

ففي العام 1934 نشرت الأجزاء الثلاثة الأولى لدراسة التاريخ، وفي العام 1939 أضاف توينبي ثلاثة أجزاء، وشهد عام 1954 نشر أربعة أجزاء أخرى من هذا العمل (من المجلد السابع إلى المجلد العاشر).

وكان في حسبان المؤلف أن ينتهي من مشروعه بنشر الجزء العاشر، بيد أن موجة التعليقات والانتقادات التي أثارتها الأفكار الواردة في الأجزاء العشرة، وانقسام الآراء والتقويمات بشأنه، بين مادح وقادح، حفزت الرجل على نشر الجزء الحادي عشر (Historical Atlas and Gazetteer) وقد ضم بين دفتيه خرائط تاريخية عديدة، ثم أردفه عام 1961، بمجلد آخر هو الثاني عشر في السلسلة والأخير (Reconsiderations) رد فيه على منتقديه، لاسيما المؤرخين منهم، متناولا بالمعالجة والشرح نقاطا عديدة اعتبر المؤلف أنها غابت عن هؤلاء، كما أبان توينبي عن تواضع علمي جم، ونزاهة فكرية خليقة بكبار العلماء، حينما قام بتعديل البعض من أفكاره وتصحيح جملة من الوقائع التي جاءت في بعض أجزاء عمله، على ضوء ما انجلت عنه آخر الأعمال في مجال الحفريات الأثرية فضلا عما شهدته الساحة الدولية من تطورات.

كان ثم سؤالان أرقا توينبي وما برحا يتجلجلان في صدره: لماذا تموت الحضارات؟ وهل يقدر للغرب المعاصر أن يلقى نفس مصير الحضارة الهيلينستية؟

ويعترف المؤلف في استهلال المختصر الصادر عام 1972 أن حدث الحرب العالمية الأولى وقد أثر فيه على نحو بالغ ناهيك أنه عاش العصر الفيكتوري المتأخر وهو عصر سادته روح التفاؤل، ويذكر أن الدهشة تملكته وهو يوازن بين تجربة المجتمع الذي كان يعيش فيه في مطلع القرن العشرين وتجارب المجتمع الهيليني، إذ لاحظ كثرة أوجه الشبه بينهما وهو الذي تشبع بتجارب التاريخ اليوناني وهو التاريخ الذي شكل الركن الركين في تعليمه بخاصة، وثقافته بعامة.

فعلا، لقد شد انتباه الرجل التشابه الكبير بين الحرب العظمى التي عصفت بأوروبا ما بين 1914 و1918 وحرب البيلوبونير في اليونان القديمة التي أرخ لها المؤرخ اليوناني توسيديد وهو ما جعله يعقد مقارنة بين تجربته وهو يعيش أجواء الحرب العالمية الأولى صيف 1914 وتجربة توسيديد وتفاعله مع الحرب التي وصفها عام 431 ق.م.

وبذلك أمكن لتوينبي أن يعي مغزى مفرداته وعباراته التي تكن-قبل نشوب الحرب-تعني له أشياء ولربما شيئا البتة.